د. عبد الكريم السكرى

«إن سياسة الحكومة هى قصر التعليم على أبناء السادة حتى لا يجلس معهم أو يتعلم مثلهم أبناء عبيدهم من العمال والفلاحين»
د. عبد الكريم السكرى

وابتداء يتعين أن أتقدم باعتذار إلى هذا المناضل د. عبد الكريم السكرى الذى نسيه الجميع وربما أنكره الجميع. فلسبب أو لآخر تتساقط من ذاكرة اليسار أسماء مناضلين حقيقيين لكنهم كانوا يعملون فى صمت ولا يجيدون فن إظهار أنفسهم. وعلى أية حال لسبب ما اختفى اسم عبد الكريم السكرى من ذاكرة اليسار المصرى.

اعتذار آخر أتقدم به لزميل الدراسة فى كلية الحقوق مجدى السكرى الذى لم أقابله ولم أسمع عنه منذ أكثر من خمسة وخمسين عاما وأتمنى له كل خير. أعتذر له لأننى صدمته صدمة كانت قاسية بالنسبة له. ففى ساحة حقوق عين شمس كنت أقف إلى جوار مجلة حائط كتبتها من أولها لآخرها وكان اسمها «صوت الشعب»، ويدرك الطلاب أنها مجلة يسارية، فاقترب شاب فى مثل سنى أو أصغر قليلاً وقال بكبرياء: «أنا مجدى السكرى قريب الدكتور عبد الكريم السكرى» وبطريقة لم أغفرها لنفسى، ولن أغفرها قلت: «مين عبد الكريم السكرى؟» فابتعد الفتى ولم يحدثنى مرة ثانية حتى تفرقت السبل. وظللت ألوم نفسى ثم تراكم اللوم عندما عثرت على أعداد من مجلة «الضمير» فعرفت الرجل ودهشت لأننا تذكرنا جميع من أسهموا فى مجلة «الضمير» وأنكرناه.

وبدأت رحلة البحث: أصدر عبد الكريم السكرى مجلة «الضمير» عام ١٩٣٨، وكانت مجلة إقليمية تصدر فى بلدته بنى سويف.

وأشرك السكرى معه عدداً من طلاب الجامعة التقدميين. وكانوا يطبعونها فى المكتب الدولى للطبع والنشر فى الجيزة. وفى ١٩٤٥ نجح محمود العسكرى فى إقناع عبد الكريم

السكرى فى إصدارها باسم «لجنة العمال للتحرير القومى»، ولم يكن توافق السكرى مع هذه اللجنة التى تقول عن نفسها إنها «الهيئة السياسية للطبقة العاملة» مجرد مصادفة. فقبل هذه العلاقة كان السكرى قد أصدر من مجلته ٢٧٢ عددا كمجلة ليبرالية وتقدمية. ويمكن القول أيضاً إنها كانت يسارية لكنها كانت محلية محصورة فى بنى سويف فلم يسمع عنها الكثيرون. المهم يكتب طه سعد عثمان فى مذكراته: «فى الساعة الخامسة من مساء الخميس أكتوبر ١٩٤٥ خرج محمود العسكرى من المطبعة حاملا معه نسخ أول عدد من الضمير أصدرته لجنة العمال للتحرير القومى». ويواصل السكرى مساهمته فى تحرير «الضمير» ونقرأ له فى مقال بعنوان «العمال للإنتاج القومى كالعمود الفقرى للجسم الإنسانى»: «قوام الإنتاج فى محيط حلبة الأعمال المختلفة وكل ما يحتاج إليه العالم الإنسانى من مطالب الحياة.. هو العامل. ومن هنا كان من حقه أن يفخر بحق حين يرى نفسه الوسيلة الوحيدة للإنتاج القومى»، ثم يقول: «وأظن أن الزمن الآن يدفع الطبقة العاملة إلى أن تسعى وراء حقها المهضوم ومطالبها العادلة فى أن يكون لها نصيب من هذه الحياة الرغدة يتناسب مع جهدها وتضحياتها، ولا تستطيع هيئة منصفة أن تقف أمام جهاد العمال فى سبيل حقوقهم المشروعة العادلة» (الضمير – ٧ / ١١ / ١٩٤٥).

ويكتب السكرى على صفحات «الضمير» سلسلة من المقالات بعنوان «أيها العامل.. دعنى أحدثك» قال فى واحدة منها: «أنت عامل ومعنى ذلك أنك مواطن منتج، وعلى هذا الأساس الصحيح أرجو أن تحيى فى نفسك شعور الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة.. أنت مجتهد فى عملك فكن مجاهداً فى الدفاع عن حقك، وما ضاع حق وراءه مطالب» (٢٤/٦/ ١٩٤٦).

ويقبض البوليس على الثالوث «المدرك – العسكرى – طه سعد عثمان»، لكن السكرى لا يفزع ولا يتوقف فيستمر هو فى إصدار « الضمير» فيقبض عليه ليبقى يومين كإنذار وتفرج عنه النيابة بالضمان الشخصى. ويخرج السكرى ليواصل التحدى فيكتب فى «الضمير»: «أيها العامل دعنى أحدثك عن ليلتين على الأسفلت»، ويحكى للعمال فى هذا المقال قصة استغلال الإنسان لأخيه الإنسان منذ ألفى عام بما دفع «الفلاسفة الأقدمين أمثال سقراط وأفلاطون إلى الدفاع عن العدل». وفيما كان زملاؤه فى السجن هرب السكرى بمجلته إلى بلدته بنى سويف طوال الفترة من يناير حتى مايو ١٩٤٦، هرب بها

لكنه لم يهرب منها ولا من مبدئه فقد ظلت طوال هذه الفترة تؤكد أنها «لسان حال لجنة العمال للتحرير القومى». ويفرج عن المعتقلين وتعود «الضمير» إلى القاهرة لكن السكرى يعود بها وهو أكثر شجاعة وأكثر تمسكا بالمبدأ، فيكتب افتتاحية لأول عدد بعد العودة للقاهرة يقول فيها: «عدنا إلى ميدان النضال الحر الشريف لنناهض الاستعمار أيا كان نوعه وفى أى بقعه من بقاع العالم. عدنا لنحقق آمال الوطن ولتحيا الإنسانية فى أمن وسلام وسعادة. واليوم تعود الضمير إلى ميدان النضال حاملة مشعل النور إلى الطبقة العاملة والشعب المصرى رافعة علم الجهاد المشروع ضد الاستعمار والاستغلال حتى تتحرر الإنسانية من الظلم والاستعباد ومن الجوع والحرمان».

.. ثم ينقطع خيط الاتصال مع الدكتور عبد الكريم السكرى. ويكفينى أننى أستعيد الآن ذكراه ونضاله وإصراره..

لكننى ومهما كتبت سأظل مدينا له بالاعتذار هو والزميل القديم مجدى السكرى. وليته يكون حاضرا ويقرأ هذا الاعتذار.